النظريات العلمية ودورها في توجيه النص القرآني
بين المؤيدين والمعارضين
دراسة حجاجية دلالية

الدكتور: بوعمامة نجادي

مخبر الخطاب الحجاجي ، أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

University of Tiaret –ALGERIA

ملخص: يقصد بالتفسير العلمي التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته. ولذلك قال دعاة التفسير العلمي للقرآن الكريم بالتوسع في مدلول الكلمات، والآيات القرآنية، وبفصل الآية عن سياقها باعتمادهم على الإشارات فقط، وبتعاطيهم هذا النوع من التفسير يجعلون القرآن في سباق مع مكتشفات العلم الحديث أيهما يظفر بالسبق. أما الإمام محمد عبده وإن كان قد قرر مبدأه في التفسير، وهو فهم الكتاب من حيث هو دين، يرشد إلى سعادة وخير الدارين، وحدد الغاية التي جاء من أجلها القرآن الكريم، ووجه اللوم إلى المفسرين الأوائل لكونهم -على حد زعمه -ساهموا في صرف الناس عن القرآن بانشغالهم بالوسائل دون توخي الهدف الأسمى من التفسير. فإنه ومع ذلك قرر اعتماد العقل في التفسير، وجعل منه الأصل الأول في الإسلام لتحصيل الإيمان. ترى ما محددات التفسير العلمي للقرآن الكريم؟ وكيف تناوله المعارضون والمؤيدون من

تاريخ إيداع البحث: 02 ديسمبر 2019.

تاريخ قبول البحث: 26 ديسمبر 2019.

العلماء؟ هذا ما ستأخذه هذه الدراسة على كاهلها من خلال وقفاتنا مع نصوص للمعارضين والمؤيدين.

الكلمات المفتاحية: التفسير العلمي - الاصطلاحات العلمية - مدلول الكلمات - السياق - اعتماد العقل -

Scientific Theories and their Role in Directing the Qur'anic Text between Supporters and Opponents
(Semantic Argumentative Study)

Abstract: Scientific interpretation means the interpretation that governs scientific terms in the Qur'anic expressions, and tries to extract the various sciences from its verses. Therefore, advocates of the scientific interpretation of the Noble Qur'an have said to expand the meaning of words and Quranic verses, and to separate the verse from its context by relying on signs only. By taking (the abuse use of) this kind of interpretation, they put the Qur'an in a race with the discoveries of modern science, whichever comes first. As for Imam Muhammad Abdou, and if he had decided his principle of interpretation, it is an understanding of the book in terms of religion. It guides to the happiness and goodness of the hereafter, and defines the purpose for which the Holy Quran came. He blamed the early interpreters for having - as he claimed - contributed to distracting people from the Qur'an by their preoccupation with means without seeking the supreme goal of the interpretation. However, he decided to adopt reason in interpretation, and made it the first principle in Islam to obtain faith. What are the determinants of the scientific interpretation of the Holy Qur'an? And how did the opponents and supporters of the scholars address it? How did the opponents and supporters of the scholars address it? This is what this study will take on its shoulders through our stands with texts for opponents and supporters .

Key words: Scientific interpretation, scientific conventions, words meaning, context, mind adoption

التفسير العلمي للقرآن الكريم:

يعتبر التفسير العلمي واحدا من الأسس التي أقامت عليها المدرسة الإصلاحية الحديثة[1] تفسيرها للقرآن الكريم، وعند تتبعنا لنفر من الدارسين غير قليل كالذهبي، والشيخ يوسف القرضاوي، وفهد بن سليمان الرومي، ومحمد بن لطفي الصباغ، وموسى شاهين، وأمين الخولي ونحن نتقصد الوقوف على ماهية هذه الأداة وجدنا نظرتهم إليه تكاد تكون متطابقة، ولعلنا لا نستطيع أن نجري دراسة

تحليلية لتلك التعريفات إلاّ إذا عرضنا لتلك النصوص واحدا واحدا. في حين نجد آخرين وعلى رأسهم رائد المدرسة الإصلاحية الحديثة يؤيدونه كل التأييد.

النص الأول:

يقول أمين الخولي معرفا التفسير العلمي للقرآن: " هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"[2].

فالنص يركز على جانبين رئيسين:

1- يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن.

2- يستخرج مختلف العلوم والآراء الفلسفية من النص القرآني.

النص الثاني:

يقول د. موسي شاهين لاشين: " يقصد بالتفسير العلمي التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته "[3].

ما نلاحظه في هذا التعريف مدى التطابق التام إلاّ أنه استثنى الآراء الفلسفية لكونها تؤول إلى العقل وأضحت مقتصرة على علم العقائد والتوحيد.

النص الثالث:

يقول د. محمد بن لطفي الصباغ: " إنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية"[4].

بقراءتك لهذا النص لا تجد كثير اختلاف بينه وبين سابقيه فهو يركز على:

1- تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية الكريمة.

2- الربط بين الآيات ومكتشفات العلوم.

3- يقيد الوحدة اللغوية "العلوم" بالصفة أي هذه العلوم لا تخرج عن الحقل [تجريبية، فلكية، فلسفية].

النص الرابع:

يقول د. فهد بن سليمان الرومي: "هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان "[5].

إن الملاحظ لهذا النص يستشف أن صاحبه قد استفاد من سابقيه واستطاع أن يبني تعريفا يرتكز على محددات وجيهة، ذلك أنه أقصره على اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين الآية الكريمة كحقيقة ثابتة والمكتشفات العلمية التجريبية بتقييد اللفظ (تجريبية) وهذا الربط لا يكون كيفما اتفق إنما على وجه مخصوص بحيث يُظهر المفسر بموجبه إعجازا للقرآن، يدل على ربانية المصدر وصلاحية التشريع لكل زمان ومكان، وبالتالي يكون القرآن متبوعا والعلم تابعا.

أمّا من حيث الرفض والتأييد لهذا الأساس من أسس التفسير، فقد انقسم الدارسون حوله إلى قسمين:

1-فريق الرافضين:

انطلق هذا الفريق من مميزات التفسير الناجم عن هذا الأساس كسيد قطب، ود. محمد حسين الذهبي، ود. محمد بن لطفي الصباغ وغيرهم، وقالوا إنه يتوسع في مدلول الكلمات، والآيات القرآنية، ويفصل الآية عن سياقها معتمدا على الإشارات فقط كما أنه يجعل القرآن في سباق مع مكتشفات العلم الحديث أيهما يظفر بالسبق. ومن أجل ذلك طفق أصحاب هذا التفسير يحملون ألفاظ الآيات فوق طاقتها بغية إخضاعها لتلك النظريات متكلفين ومتمحلين ودعوا إلى فهم القرآن فهما جديدا على ضوء النظريات العلمية الحديثة.

يقول محمد الصادق عرجون: " والذي يثير الدهشة والأسف أنّ بعضا من الأفاضل الأكابر الذين أجادوا بيان هداية القرآن في بعض بحوثهم الدراسية للقرآن الكريم جرفهم تيار التجديد فانزلقوا في منحدر التأويل المتعسف، وحاول بعضهم إخضاع آيات القرآن لنظريات زعم أصحابها أنّه قد استقام لها الاستدلال،

وأصبحت علما مقررا لا يحمل الشك والارتياب، مع أنها نظريات لا تزال يعزوها الاستقرار العلمي"[6]

فالنص واضح الدلالة في أن كل تأويل متعسف، يبتغي إخضاع الآية لتنسجم مع النظرية العلمية، التي كثيرا ما يعزوها الاستقرار العلمي فهو تأويل متمحل باطل، لا يجوز في حق النص المقدس.

يقول د. محمد بن لطفي الصباغ: " والحق أنّ هذا الاتجاه من التفسير غير سديد، وذلك لأنّ العلم في قلق وتغير دائم، وتطور مستمر، ينقض اليوم ما أقره بالأمس، والحقائق العلمية تبقى ثابتة في نظر العلماء حتى تدحضها حقائق أخرى أمّا الفرضيات والنظريات فهي منذ أول وهلة في نظرهم لا تعد من الحقائق في شيء"[7].

إنّ هذا النص بناه صاحبه على ارتباط منطقي متين، بيد أنّه انطلق من النتيجة صنيع المبرهن بالخلف مقررا الحكم (والحق أنّ هذا الاتجاه من التفسير غير سديد) ثم ما يلبث أن يشرع في تقديم المقدمات:

1-بما أنّ العلم في تغير وقلق دائم وتطور مستمر.

2-بما العلم ينقض اليوم ما أقره بالأمس.

3-بما أنّ النظريات منذ وهلتها الأولى لا تعد من الحقائق.

4 -بما أنّ هذا التفسير يبنى على هذه المقدمات فإنه بذلك غير سديد.

لكن الدكتور الصباغ لم يدلنا على ما اتخذه من قرار إلاّ ما نستشفه على ضوء دلالة المخالفة. ذلك أنه في هذا النص التقويمي قد انطلق من أهداف التفسير معتمدا على القياس (جملة المقدمات التي ذكرناها) وأصدر حكما ولم يتخذ قرارا بإعطائنا بديلا.

ولقد أرجع فريق من الدارسين المهتمين بالدراسات القرآنية تعاطي هذا النوع من التأويل بشكله المتعسف إلى عدة أسباب نذكر منها:

1-الهزيمة الداخلية التي ما فتئت الأمة الإسلامية تعيشها منذ ردح من الزمن غير يسير، وهي تتخيل أن القرآن تابع والعلم مهيمن، وانطلق المنهزمون يثبتون القرآن بالعلم، ويستدلون على كماله من العلم، ولو أنهم عكسوا الصورة صنيع المستشرق "بوكاي" لكان خيرا لهم وأقوم.

2-سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته ككتاب رباني جاء لبناء الإنسان بناء يسمح له بالانسجام مع هذا الوجود الرحب والناموس الإلهي لتحقيق الخلافة في الأرض.

3-التأويل المتكلف لنصوص القرآن والجري وراء الفروض والنظريات غير المستقرة أثر تأثيرا بالغا في الولوج إلى هذا النوع من التفسير.

لكن هذا لا يعني أبدا أن القرآن والعلم في عداء كما حدث في الكنيسة من انفصام نكد بين العقيدة والعلم على يد اليهودي المتمسح "شاول"[8].

يقول الأستاذ محمد قطب: " وقد كانت النتائج التي وصل إليها العلم التجريبي من العظمة والجبروت حتى بهرت الناس في الغرب والشرق، بل وصل الأمر في الغرب خاصة إلى **عبادة هذا الكائن الجديد** والنظر إليه بعين الإيمان المطلق الذي لا تشوبه شائبة من شك أو جحود! "[9].

2-فريق المؤيدين (بشروط):

ولم يكن هذا الفريق على تأييد مطلق لهذا النوع من التفسير، كما ذهب أولئك المنهزمون، وإنما اشترط هذا الفريق شروطا لا بد من توفرها في هذا التفسير منهجا وأهلية في المفسر، ونأخذ من هؤلاء د. يوسف القرضاوي الذي يرى أن تعاطي هذا النوع من التفسير وفق شروطه، يقدم أهدافا جليلة تتمثل في:

1-تعميق مدلول النص: وذلك من خلال ما تقدمه العلوم الكونية، من بيانات ومعلومات تزيد صاحبها معرفة بمفهوم الآية ويأخذ مثالا على النص القرآني: **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾**[10]

إذ ما تناوله إنسان عاد بالتفسير فيكون الفهم إجماليا ابتداء على العكس تماما فيما إن تناوله مختص في علم الحيوان أو علم الحشرات " يرى في الآية مالا يراه القارئ العادي، ويستنبط من ألفاظها من المعاني، والأفكار، والمقاصد مالا يخطر لأمثالنا ببال "[11].

2-تصحيح معلومات بعض المفسرين السابقين: لقد خرج بعض المفسرين القدامى على الظاهر المتبادر، ودفعهم ذلك أن العوالم العلوية لا توجد فيها كائنات حية تدب عليها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾[12]وقالوا إنّ الضمير يرجع إلى الأرض وحدها ولو أنه جاء على صيغة المثنى[13].

3-تقريب الحقائق الدينية لعقول البشر: ولو ننطلق في ذلك من النص القرآني: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[14]

نجد أنّ التفاتة النص القرآني لتنطوي بحق على ذلك التعقيد في تركيب الإنسان وفي وظائفه وأوجه أنشطته، وهذا ما يتسق مع هدفه الأسمى﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[15] وقوله تعالى﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[16]

وعن هذا التعقيد يقول الطبيب والعالم الفرنسي الكبير د. ألكسيس كاريل: " يجب أن نفهمه في جميع وجوه نشاطه، ما كان واضحا منها عادة أو قد يبقى في حيز الفكر، ومثل هذه المعلومات يمكن فقط الحصول عليها بالتأمل الدقيق في حاضر وماضي جميع اكتشافات قوانا العضوية والعقلية، كذا بالفحص التحليلي والتركيبي لبنيتنا وعلاقتنا النفسية والكيماوية والعقلية ببيئتنا"[17].

ويقول أيضا: "ويتكون الكل من الأنسجة والسوائل العضوية والشعور وهو ينتشر في الفراغ وفي الزمن في وقت واحد، لأنه يملأ ثلاث أبعاد من الفراغ، كذا فراغ الزمن بكومته غير المتجانسة، وعلى كل حال فإن الكل لا يستقر تماما بداخل هذه الأبعاد الأربعة لأن الشعور كائن بداخل المادة المخية، ثم إن الإنسان على

درجة من التعقيد تحول دون إمكان فهمه في كليته، ومن ثم فنحن مضطرون إلى تقسيمه إلى أجزاء صغيرة بواسطة وسائلنا الخاصة بالملاحظة.... إلخ"[18].

ويقول أيضا: " إن الجلد الذي يغطي السطح الخارجي للجسم غير قابل للاختراق بواسطة الماء والغازات، كما أنه لا يسمح للجراثيم التي تعيش على سطحه بالدخول إلى الجسم فضلا عن أنه قادر على تحطيم هذه الجراثيم بمساعدة المواد التي تفرزها غدده"[19].

وأمام هذا التركيب المعقد الخاص بالإنسان يرى الطبيب الجراح "كاريل" أنه لا بد من فحص الإنسان فحصا شاملا ليحصل كل جانب منه على قسط من الاهتمام مع ضرورة ألا يطغى جانب على جانب آخر، وألا نتجاهل الحقائق غير القابلة للإيضاح، والإنسان بكامله يدخل في اختصاص العلم وهذا العلم هو أهم العلوم الأخرى لأنه يتعلق بصانع هذه العلوم.

يقول سيد قطب: " وتفرد الإنسان في هذا الكون بطبيعته وتركيبه، وفي وظيفته وغاية وجوده، وفي مآله ومصيره، هو الذي يقرره التصور الإسلامي عن الإنسان في نصوصه الكثيرة، فكلها تقرر أن هذا الإنسان، خلق خلقة فذة خاصة مقصودة، وعينت له وظيفة، وجعلت لوجوده غاية، وأنه كذلك مبتلى بالحياة مختبر فيها محاسب في النهاية على سلوكه فيها. هذا السلوك الذي يقرر جزاءه ومصيره"[20].

وهذه التركيبة الجد معقدة للإنسان لتجعله بحق يستجلي من خلالها ذاته أولا ثم يبحث ثانيا عما يناسب تلك الخلقة من منهج وعن العلة من وراء تلك الخلقة فالتفرد في الخلقة التي جال في فضائها الرحب عالم كبير في مستوى "كاريل" ولو لم يكن مسلما. ، هي التي تفرض المنهج المتفرد والدور المتفرد لهذا الكائن وذلك انطلاقا من النفس قبل الآفاق.

وقد أسلم الكثير من جراء هذا الاتجاه السليم كذلك الطبيب التايلندي الذي قرأ بحثا حول أطوار الجنين الذي كان يدور حول معنى الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَاالْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[21]

يقول الأستاذ محمد قطب: " فذهل الرجل....... وقال إنّ هذا الطور من أطوار الجنين الذي يكون فيه كالمضغة لم يكن معروفا للبشرية كلها قبل عشر سنوات فحسب، وإنما عرف بعد اختراع أجهزة تراقب تطور الجنين في داخل الرحم وهو حي، فلا يمكن أن يكون محمدصلى الله عليه وسلم قد قال هذا الكلام من عند نفسه ولا بد أن يكون وحيا من عند الله ثم قام فقال: اشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدا رسول الله"[22].

ومن الحقائق التي لم تكن معروفة إلاّ منذ عهد قريب والتي تدور حول الآية الكريمة: ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[23]، حيث حدد الله سبحانه مهمة الجبال في ترسية الأرض ومنعها من أن تميد بالناس، وذلك بجذور أوتادها المغروسة في اللافا "السائلة في باطن الأرض لحفظ توازنها، وجعلها مستقرة وهذا هو التسخير.

ومن الحقائق التي لم تكن معروفة من قبل، وعلى كل دارس أن يتساءل عنها ابتداء من ترتيبها في الآية الكريمة، إلى بحث العلائق بينها، إلى تحديد قوة سبك النص ككل، وذلك ما يدور حول قوله تعالى: : ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا** ﴾[24]

ماذا نجد في هذا النص؟

1-مد الأرض 2-خلق الرواسي فيها

3-خلق الأنهار فيها 4-خلق من الثمرات زوجين

5-غشيان الليل النهار 6-"إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

ترى فما علاقة مد الأرض بخلق الرواسي؟ وما علاقة الرواسي بالأنهار؟ وما علاقة الأنهار بالنبات؟ وما علاقة النبات بغشيان الليل النهار؟ وذلك كله لقوم يتفكرون والنكرة الموصوفة تفيد التقييد فليس لكل قوم على إطلاق اللفظ!.

لقد عرفنا في الآية السابقة علاقة الأرض بالرواسي، أما علاقة الرواسي بالأنهار فإنها غدت معروفة وهي عبارة عن مصدات تصد الرياح المحملة ببخار الماء فيتصاعد لتحدث عملية التكاثف وينزل في صورة أمطار.

أمّا علاقة الأنهار بالثمرات فهي السقي بغية الإنتاج والإنماء، لكن ما علاقة غشيان الليل النهار بالثمار؟ هذه حقيقة علمية أصبحت واضحة بعد خمسينات القرن الماضي حيث تقدم أحد اليابانيين بشكوى ضد شركة قامت بوضع لوحة قوية الإنارة في مزرعته فتضاءل إنتاجها وأخذت شكواه بعين الاعتبار وأسفر التحقيق العلمي أن السبب يكمن في تلك الإضاءة التي حولت الليل إلى نهار! وتبين أن الثمرة تأخذ أكبر حظ من نموها في تلك الفترة بالذات[25].

فريق المؤيدين (بدون شروط المدرسة الإصلاحية الحديثة):

النص القرآني الأول

قال الله تعالى: : ﴿**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ** ﴾[26]

لقد سبق لنا وأن حددنا – في الإحالة رقم 1 - بعض الأسس التي أقامت المدرسة الإصلاحية الحديثة عليها تفسيرها وذكرنا التفسير العلمي، ولم ننكره جملة وتفصيلا ووقفنا عند معارضيه، ومؤيديه، وشروطه التي لا يقبل إلاّ بوجودها، وقلنا متى أُخلّ بهذه الشروط أصبح تفسيرا متعسفا متملقا لنظريات العلم المستحدثة، سيما إن كان أصحابه يسعون جهدهم إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات ويحاولون ردها إلى المألوف من السنن الكونية. أي بحيث تكون مجارية للسنن الكونية الجارية لا الخارقة كتقريب صورة ما نتج عن فعل طير الأبابيل بأنها جدري وجراثيم(فيجوز لك أن تعتقد أنّ هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض)[27] وما إلى ذلك لتتساوغ مع مألوف البشر وكذا نظريات العلم المعاصر. ، ولكي نفهم أكثر خصائص هذه المدرسة وطرقها في التفسير نتوسل إلى ذلك بما ذهب إليه د. محمد حسين الذهبي إذ يقول: " إنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهودا عند العرب في زمن نزول القرآن،

وطعنت في بعض الأحاديث تارة بالضعف وتارة بالوضع مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم، وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم"[28].

ما نلاحظه في هذا النّص أنّ صاحبه ربط بين المدرستين العقليتين القديمة متمثلة في المعتزلة، والحديثة متمثلة في الإصلاحية والسبب في ذلك يعود إلى نقطة التقاطع بينهما ألا وهي العقل وما تبوأه من مساحة واسعة في حرية تأويل بعض النصوص القرآنية وإن عدل بها إلى المجاز، وكذلك في ردها لبعض الأحاديث النبوية وإن رواها الثقاة التقاة إن خالفت أصولهم المذهبية.

و إلى هذا الضرب من أضرب التأويل ذهب الشيخ الإمام محمد عبده في تفسيره لسورة الفيل.

لقد مهد الشيخ لتفسيره بالوقوف على النقطتين الآتيتين:

1-همزة التقرير في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[29] أي ألم تنظر إلى**﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾**[30]

أي إلى تلك الحالة التي وقع عليها عمل الله الذي يتولى أمرك بأصحاب الفيل وهو الحيوان المعروف.

ومن الحالة التي وقع عليها الفعل الإلهي في قوله تعالى: **﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾**[31]والكيد تدبير السوء، والتضليل التضييع[32].

2-دلالة طير أبابيل: يرى أن الأبابيل هي الفرق والجماعات يتبع بعضها بعضا سواء كانت من خيل أو طيور[33].

ثم ما يلبث الإمام أن يدخل في التمهيد للتوصل إلى تضييق نطاق الخوارق معرفا الطير كالآتي: " والطير هو ما يطير في الهواء سواء كان صغيرا أو كبيرا وسواء كان مرئيا أو غير مرئي"[34] وهذا مدخل كاف ليستقر من خلاله على تأويل الطير وما ترميه به من الجدري والحصبة. ثم يقول: "فيجوز لك أن تعتقد أنّ هذا الطير من

جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح، فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وأن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير -الذي يسمونه الآن بالمكروب- لا يخرج عنها وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها"[35].

وقبل أن نقف على دراسة وتحليل هذا النص التأويلي المتعسف الغاص بالمغالطات يجدر بنا أن نقف على هذه السورة عند علمائنا الكبار كالإمام الطبري والقرطبي وابن تيمية والرازي ثم نستجلي ما ذهب إليه المحدثون كسيد قطب، ود. فهد بن سليمان الرومي وفضل حسن عباس ومحمد الصادق عرجون وغيرهم.

جاء في تفسير الطبري أن "طيرا أبابيل" يتبع بعضها بعضا وهذا وارد عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما ورد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال: " طيرا أبابيل" هي الأقاطيع كالإبل المؤبلة[36].

وقد عرفت "الأبابيل" عند العرب بالفرق والجماعات يتبع بعضها بعضا سواء كانت من خيل أو طير.

قال الشاعر[37]:

وبالفَوارس من وَرْقَاءَ قد عَلموا أَحْلاسَ خَيلٍ على جَرد أبَابيل

وقد اتفق كل من الإمام الطبري والقرطبي والفخر الرازي على أن الاختلاف كان في صفة الطير، فقال البعض: كانت بيضاء وقال آخرون كانت سوداء وقال البعض الآخر كانت خضراء لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب[38].

قال الإمام الطبري: " وأرسل عليهم طيرا من البحر، أمثال الخطاطيف مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجر في رجليه مثل الحمص

والعدس، لا يصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا "[39].

وهذا ما يراه الطبري، وإن كان الله سبحانه قد أبهم الطير لحكمة يراها وأخبر عن الحجارة التي رموا بها وهي حجارة من سجيل، كما حصل ذلك مع قوم لوط لقول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[40] وقوله تعالى: **﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾**[41]وقوله تعالى: **﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾**[42].

فالطبري -رحمه الله- لم يُشر قطّ إلى مرض الجدري ولا إلى الحصبة بقدر ما وصف تلك الحجارة التي بين الله نوعها، وقد أورد القرطبي في تفسيره أن أبا صالح قد قال"رأيت في بيت أم هانئ بنت أبي طالب نحوا من قفيزين من تلك الحجارة سودا مخططة بحمرة"[43].

وما رآه قد يتسق مع وصف الطبري لها (مثل الحمص والعدس) ولو كانت عبارة عن جراثيم لأصابت كل من صادفت ولا تميز بين عدو أو صديق.

أمّا الرازي فيقف عند دلالة التنكير للوحدة اللغوية "طيرا" ويرى أنها إمّا أن تفيد التحقير فيكون بذلك أن أمر الله أعظم وصنعه أعجب وأكبر مهما كان السبب أحقر.

أو أنها تفيد التفخيم فيكون بذلك الوصف طيرا أو أي طير ترمي بحجارة صغيرة فلا تخطئ المقتل[44] ويمضي ليجري تأويل السورة على ما دأب عليه الأولون، ولا يقصره على مرض بعينه قد أصابه الله به أبرهة وجنده، ويقوّل السورة مالا تقلب به دلالة المنطوق ولا المفهوم صنيع المدرسة الإصلاحية الحديثة.

وأمّا ابن تيمية فإنه يركز في توجهيه دلالة السورة على حرمة الكعبة، ودلائل النبوة والرسالة والشريعة وقصر حج البيت والصلاة إليه على الرسولصلى الله عليه وسلم وأمته.

"وكانت آية الفيل التي أظهر الله تعالى بها حرمة الكعبة لما أرسل عليهم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، أي جماعات متفرقة، والحجارة من سجيل طين قد استحجر وكان عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من دلائل نبوته، وأعلام رسالته، ودلائل شريعته والبيت الذي لا يحج ولا يصلي إليه إلاّ هو وأمته"[45].

وبعد هذه الوقفات مع هؤلاء الأئمة الذين هم أعلم باللسان، وأسباب النزول، ومناسبات السور والآيات، والناسخ والمنسوخ والإلمام بعلوم الحديث، وأصول الفقه، وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم. نقف لنتساءل عن الدوافع والأسباب التي جعلت الإمام محمد عبده يسلك هذا المسلك في تخريج هذه الآيات على تلك الصورة المتعسفة.

ولعل الأستاذ سيد قطب هو خير من يرفع هذا الالتباس لما يدركه ويقدره من دوافع المدرسة في تضييق نطاق الخوارق والغيبيات في تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ، وردها إلى مألوف السنن الكونية وذلك لضغط النزعة الخرافية التي كانت مسيطرة على العقلية العامة من ناحية وفتنة العلم الحديث من ناحية أخرى الذي ما فتئ أصحابه يشككون في مقولات الدين، فأرادت المدرسة الإصلاحية الحديثة أن ترد إلى الدين اعتباره بحيث يكون كل ما جاء به موافقا للعقل، ومن ثم تجتهد في تنقية الدين من الخرافات والأساطير، وبعد أن يلتمس هذا الجانب يستدرك قائلا: " ولكن مواجهة ضغط الخرافة من جهة وضغط الفتنة بالعلم من جهة أخرى تركت آثارها في تلك المدرسة من المبالغة في الاحتياط، والميل إلى جعل مألوف السنن الكونية هو القاعدة الكلية لسنة الله، فشاع في تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده -كما شاع في تفسير تلميذه الأستاذ الشيخ رشيد رضا والأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي -رحمهم الله جميعا- شاع في هذا التفسير الرغبة الواضحة في رد الكثير من الخوارق إلى مألوف سنة الله دون الخارق منها، وإلى تأويل بعضها بحيث ما يلائم ما يسمونه المعقول! وإلى الحذر والاحتراس الشديد في تقبل الغيبيات"[46].

وللوقوف على ذلك نعود إلى النّص الأول الذي نقلناه عن الشيخ الإمام محمد عبده، حيث نجده قد ركز على النقاط الآتية:

1-لقد بنى تخريج الآيات على رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه والتي مفادها أن أول ظهور للجدري كان بعد الفيل ولم تكن نصّا في أن جيش أبرهة قد أصيب به.

يقول الشيخ محمد الصادق عرجون: " وحديث الجدري والحصبة في هذا المقام حديث **مقحم متهافت**، ما كان ينبغي أن يعول عليه مثل الشيخ -على جلالة قدره-في تفسير القرآن الحكيم في سورة يبدأها الله بصيغة التعجيب والتعظيم لصنعه، بما أنزله بهؤلاء الطغاة الجبابرة تقدمة لمبعث نبيهصلى الله عليه وسلم، وقد عرض لبيان تهافت هذا الرأي قديما ابن الأثير في تاريخه الكامل فقال: وقال كثير من أهل السير أن الحصبة والجدري أول ما رؤيا في بلاد العرب بعد الفيل وهذا ممّا لا ينبغي أن يعرج عليه... فإن هذه الأمراض قبل الفيل مذ خلق الله العالم"[47].

2-إنّ رواية عكرمة رواية وحسب، فهي لم ترتق إلى درجة التواتر الذي زعمه الشيخ الإمام.

3-إن الشيخ الإمام محمد عبده رأى أن وصف الطير بصفة واحدة قد اتفقت عليها جميع الروايات، أمّا نحن فقد شاهدنا اختلافا واضحا فيما نقلناه عن الطبري والقرطبي والرازي لا من حيث النوع ولا من حيث اللون فلقد قال البعض أن الطيور أشبه بالخفافيش، وقال الآخرون أنها أشبه باليعاسيب وقال البعض الآخر أنها تشبه الخطاف كما اختلفوا في الألوان بين بيضاء، وخضراء، وسوداء[48].

4-الآية صرحت بإرسال الطير، وليس في عرف اللغة أن يطلق الطير على حيوان يسمى "مكروب" وما حصل ذلك في عرف الاستعمال، والعربي المخاطب بالقرآن آنذاك لم يكن يعلم عن الجراثيم والمكروبات شيئا.

5-ما روي من آثار الحادث لا يتفق قط مع ما يخلفه الجدري والحصبة في الأجسام، فلقد روي ما حدث لأجسام الجيش وقائده أنها أسقطت عضوا عضوا وشقّ صدر أبرهة عن قلبه بتأثير رمي طير الأبابيل.

6-إنّ جو السورة وملابسات الحادث تدل على أن الله سبحانه أراد أن يحفظ هذا البيت ويجعله مثابة للناس وأمنا ونقطة تجمع للعقيدة الجديدة التي وُلد رسولهاصلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ سيد قطب: " ونحن لا نرى أن هذه الصورة التي افترضها الأستاذ الإمام صورة الجدري أو الحصبة من طين ملوث بالجراثيم، أو تلك التي جاءت بها بعض الروايات من أن الحجارة ذاتها كانت تخرق الرؤوس والأجسام، وتنفذ منها وتمزق الأجساد فتدعها كفتات ورق الشجر الجاف وهو (العصف) لا نرى أن هذه الصورة أو تلك أدل على قدرة الله، ولا أولى بتفسير الحادث فهذه كتلك في نظرنا من حيث إمكان الوقوع ومن حيث الدلالة على قدرة الله وتدبيره ويستوي عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس المعهودة المكشوفة لعلمهم هي التي جرت فأهلكت قوما أراد الله إهلاكهم أو أن تكون سنة الله قد جرت بغير المألوف للبشر وغير المعهود المكشوف لعلمهم فحققت قدره ذاك..... نحن أميل إلى هذا الاعتبار لا لأنه أعظم دلالة ولا أكبر حقيقة. ولكن لأن جو السورة وملابسات الحادث تجعل هذا الاعتبار هو الأقرب، فقد كان الله -سبحانه- يريد بهذا البيت أمرا كان يريد أن يحفظه ليكون مثابة للناس وأمنا وليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة"[49].

إنّ الشيخ الإمام محمد عبده يرى أن السورة بينت له أنّ ذلك الجدري نشأ من حجارة يابسة أسقطتها الطيور على أبرهة وجيشه، وليس في السورة ما يدل على ما ذهب إليه، فلا دلالة المفهوم ولا المنطوق توحي بما صرح به في قوله" وقد بينت هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ممّا يرسله الله مع الريح"[50]. وإن في ذلك لتعسفا واضحا في تأويل النص القرآني جريا وراء النظريات العلمية الحديثة.

يقول محمد الصادق عرجون: " وهو ضرب من التعسف في التأويل المتملق لنظريات العلم المستحدثة، وهو مذهب لكثير من المجددين في تفسير القرآن

والمتسورين على تبيين مفاهيم الإسلام الذين يرفضون قبول الخوارق المادية سواء أكانت إرهاصا قبل النبوة أو معجزات بعد الرسالة"[51].

هكذا كان مذهب الأستاذ وهكذا كان مسلكه في تضييق نطاق الخوارق تحت تأثير معطيات الحضارة الغربية، ولو أنه استنطق هذه الحضارة لقالت له: إن المكروبات لا تفرق بين حبشي وعربي سيما إذا كانت تذروها الرياح. ولعل قائلا يقول: إنها فلتة من الأستاذ جانب فيها الحقيقة وتعسف في التأويل ولا يحق لنا أن نسقط ذلك على مدرسة بكاملها.

والحق يقال إن هذا التفسير قد شاع في رجال المدرسة أجمعين ولا يستثنى منهم أحد ولو كان الأستاذ رشيد رضا صاحب التكوين السلفي النصوصي.

يقول د. محمد عمارة: " ذلك أنّ منهج كل من الرجلين مختلف عن منهج الآخر إلى حد كبير، وذلك بحكم التكوين الفكري والموقف والمنطلق النظري لكل منهما..... وهو الفرق بين رشيد رضا السلفي الأثري الذي يقدس النصوص ويقدمها على نظر العقل ومحمد عبده الذي كان يقف بعقله ونظره أمام قضايا القرآن وآياته، غير حافل بما قدمه من سبقه من المفسرين من أراء وتخريجات"[52].

ومع ذلك نجده قد أوّل الإمداد الرباني في سورة "الأنفال" بأنه إمداد روحاني معنوي وليس ماديا، وأنّ الملائكة لم تشارك في المعركة إلا بمخالطة أرواح المؤمنين وتثبيتهم[53]. وحصل منذ ذلك مع أنه قد استقل بعمله وتحول إلى منهج مغاير بعد وفاة أستاذه.

يقول الأستاذ رشيد رضا: " هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه -رحمه الله تعالى-بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها"[54].

والآن يطيب لنا أن ننتقل إلى نص آخر للأستاذ أحمد مصطفى المراغي وكأنه نص الأستاذ الإمام محمد عبده عينه ممّا لا يدع مجالا للشك في مدى توحد رؤى أصحاب هذه المدرسة في التفسير.

يقول فيه: " أي أنه تعالى أرسل عليهم فرقا من الطير تحمل حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش فابتلوا بمرض الجدري، أو الحصبة حتى هلكوا، وقد يكون هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، أو تكون هذه الحجارة من الطين اليابس المسموم الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذا الطير فإذا اتصل بجسم دخل في مسامه، فأثار فيه قروحا تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه ولا شك أن الذباب يحمل كثيرا من جراثيم الأمراض، فوقوع ذبابة واحدة ملوثة بالمكروب على الإنسان كافية في إصابته بالمرض الذي يحمله ثم ينقل هذا المرض إلى الجم الغفير من الناس، فإذا أراد الله أن يهلك جيشا كثير العدد ببعوضة واحدة لم يكن ذلك بعيدا عن مجرى الألف والعادة، وهذا أقوى في الدلالة على قدرة الله وعظيم سلطانه"[55].

إنّ نص الشيخ أحمد مصطفى المراغي وهو أحد أقطاب هذه المدرسة ليحمل ذات الشحنة التي تعرضنا لها مع نص أستاذه الإمام محمد عبده، إنه يحملها لا من حيث المعنى فحسب ولكن يحملها لفظا ومعنى ممّا يدل على تأثر المدرسة بنفس المنهج وكأنها سقيت بماء واحد.

يقول د. فهد بن سليمان الرومي: " وفسر رجال المدرسة العقلية الحديثة هذه الآية تفسيرا آخر أرادوا به أن تكون الحادثة أمرا مألوفا يقرب إلى أذهان الذين لا يؤمنون بالخوارق فقد أولوا تلك الطير بالذباب، وأولوا الحجارة التي من سجيل بما يعلق بأيدي وأرجل هذه المخلوقات من جراثيم ومكروبات"[56].

أمّا الشيخ محمد متولي الشعراوي فيربط هذه النتائج بمقدماتها ويقول إننا اتهمنا من قبل المستشرقين بأن الإسلام لا يتمشى مع العقل، وأراد المستشرقون من خلال إلقاء هذه التهمة الدخول منها إلى هدم الإسلام، فقام بعض العلماء وقالوا إن الإسلام ليتمشى في كل قضاياه مع العقل " فجاءوا إلى كل ما يتصل بالغيب الذي يقف فيه العقل، وحاولوا تأويله تأويلا يرضي العقل. حتى يدفعوا التهمة عن الدين بأنه لا يتمشى مع العقل وعلى رأسهم علماء كبار، ومدارس عقلانية لها مذاهب شتى، جاءوا في هذه الحادثة التي عاصرت ميلادهصلى الله عليه وسلم

فماذا قالوا؟ قالوا إن الطير الأبابيل التي ترميهم بحجارة من سجيل هي الميكروبات، ميكروبات أرسلها الله على ذلك الجيش لماذا؟ ليقربوا المسألة إلى أذهان الناس، حتى لا يتهم الإسلام بأنه يأتي بأشياء لا تطابق العقل..... ولكن الأديان لا تناقش هذه المناقشة لأن الدين إنما يناقش بالعقل في قمته الأساسية وهي قمة الإيمان بالله"[57].

وبناء على ذلك يبقى العقل يعمل في توثيق النقل عن الله، أقاله الله أم لم يقله، ولو طرحت المسألة كما يريد العقلانيون لكذبهم العقل فيما أرادوا، ذلك أنه عندما نزلت السورة كان لا يزال من عايش الحدث على قيد الحياة ولم ير ذلك الميكروب، ولو كان كذلك لم يكن ليخطئه فهو لا يفرق بين أبرهة وجنده وأبي طالب وقومه ولوفر العقلانيون بتأويلهم هذا أكبر حجة لتكذيب القرآن ورده، وهم حينئذ لأحرص الناس على النيل من رسول اللهصلى الله عليه وسلم ورميه بالأساطير المكتتبة التي تملى عليه بكرة وأصيلا -على حد زعمهم-.

ويقف الشيخ كدأبه عند هذه السورة وقفة تنم عن ثرائه العلمي الغزير الخصب نجملها في النقاط الآتية:

1-عام الفيل كان حفظا للمبنى وذلك بحفظ الله لبيته في ذلك العام من أن يهدمه أبرهة وجنوده.

2-عام الفيل كان حفظا للمعنى: وذلك بأن أوجد فيه الشخص الذي سيحافظ على معناه بميلاد المصطفىصلى الله عليه وسلم

3-تصدير السورة بقوله" (ألم تر....)والرسولصلى الله عليه وسلم لم يكن يرى وقتها ولكنه علم ذلك من ربه وجاء قوله: (ألم تر....)مقام ألم تعلم وذلك "لأن العلم إذا كان بواسطة الإخبار من الله فيجب أن يستقبله المؤمن بالله استقبال لما يرى، ولما يحدث، فليس خبرا عن غيب فكأن ما يقوله الحق في: (ألم تر...)أي ألم تعلم، وكأن الحق يقول: إنني أقول لك، وإذا قلت لك فأنا عينك وكأنك ترى ذلك، ويقول الحق: (ألم ترى كيف فعل ربك) ومعنى الإضافة هنا تدل على أنّ المسألة متعلقة بمحمدصلى الله عليه وسلم، فعل ربك، والرب تفيد التربية، والكمال

والبلوغ بالمربي إلى مرتبة الكمال فما دام فعل ربك فيكون لمحمدصلى الله عليه وسلم علاقة بالمحافظة على ذلك البيت"[58].

4-أنّ هذا الميلاد في هذا العام جاء ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود كله بالمنهج النهائي لهدي الإنسان ليكون الإنسان خاضعا كبقية أجناس الكون لله سبحانه وتعالى[59].

الخاتمة

1- إن التفسير العلمي للقرآن يجب ألا يكون منطلقه إثبات القرآن بالعلم، والاستدلال على كماله من العلم

2- يجب أن يتضح ابتداء فهم طبيعة القرآن ووظيفته ككتاب رباني جاء لبناء الإنسان بناء يسمح له بالانسجام مع هذا الوجود الرحب والناموس الإلهي لتحقيق الخلافة في الأرض. وتكمن قوته في ربانيته. وليس في العلم وإن صحت نظرياته.

3- يجب ألا ينزلق متعاطو هذا النوع من التفسير في التأويل المتكلف لنصوص القرآن والجري وراء الفروض والنظريات غير المستقرة. مع العلم أن هذا لا يعني أبدا أن القرآن والعلم في أداء كما حدث في الكنيسة من انفصام نكد بين العقيدة والعلم على يد اليهودي المتمسح "شاول"[60].

4- يجب أن يزيد هذا النوع من التفسير في تعميق مدلول النص: وذلك من خلال ما تقدمه العلوم الكونية، من بيانات ومعلومات تزيد صاحبها معرفة بمفهوم الآية الكريمة.

يجب أن يدخل هذا النوع من التفسير في تصحيح معلومات بعض المفسرين وتقريب الحقائق الدينية لعقول البشر.

مراجع البحث وإحالاته:

---

1 وللتعريف بهذه المدرسة يجب علينا أن ننطلق من عينة من النصوص لمجموعة من العلماء المنظرين، وبعض المفكرين كالشيخ محمد الغزالي، والشيخ سلمان بن فهد العودة، والشيخ محمد حسين الذهبي، وفهد الرومي، وطاهر محمود محمد يعقوب وغيرهم.

لقد اتفق جل الباحثين على أن المدرسة الإصلاحية الحديثة قامت على أنقاض المدرسة العقلية القديمة، وورثت العديد من أفكارها، وتجلت معالمها على يد السيد أحمد خان الهندي (ت 1897م) ومن بعده على يد السيد جمال الدين الأفغاني ثم ترسخت على يد الإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا الذي خالفه بعد وفاته، وقد عرفت هذه المدرسة باسم (مدرسة الإحياء والتجديد)1. ينظر د. التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان محمد أمامة ،دار ابن الجوزي ب ت ص 364

أمّا ما يحمد لهذه المدرسة فإنها كانت بعيدة عن التأثر المذهبي الذي قامت من أجله فرق الخوارج والمعتزلة، كما أنها وقفت من الإسرائيليات وقفة تميزت بالصرامة، والشدة، ومن أجل ذلك استبعدت الأحاديث الضعيفة من كل استشهاد ولم تحفل بتأويل الغيبيات إلاّ قليلا. والآن نفسح المجال للشيخ محمد الغزالي كي يلخص لنا أهم أسس هذه المدرسة

" وهناك مدرسة أخرى أقرب إلى مدرسة الرأي وإن كان عنوانها سلفيا، هي مدرسة الشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ رشيد رضا، ويتبعهما الشيخ محمود شلتوت، ومحمود عبد الله دراز، ومحمد المدني وفيهم الشيخ المحقق محمد الخضري، و منهم الشيخ محمد أبو زهرة هذه المدرسة لها ملامح بينة، فهي وإن قامت على النقل إلاّ أنها تروج للعقل وتقدم دليله، وترى العقل أصلا للنقل، وهي تقدم الكتاب على السنة، وتجعل إيماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الآحاد، وهي ترفض مبدأ النسخ، وتنكر إنكارا حاسما أن يكون في القرآن نص انتهى أمده، وترى المذهبية فكرا إسلاميا قد ينتفع به، لكنه غير ملزم، ومن ثم فهي تنكر التقليد الأعمى، وتحترم علم الأئمة، وتعمل على أن يسود الإسلام العالم بعقائده وقيمه الأساسية، ولا تلقي بالا إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة أو الحديثة، وقد حاولت هذه المدرسة أن تقود الأزهر وتفرض وجهتها على المسلمين، ولكن التيارات العاصفة كانت أقوى منها فوقفتها أو جرفتها"1. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، الشيخ محمد الغزالي ص 60

في هذا النص يعرض الشيخ محمد الغزالي لأهم الأسس التي قامت عليها هذه المدرسة منذ نشأتها مركزا على النقاط التالية:

1-الإقرار بتقارب المدرستين مدرسة الرأي القديمة والمدرسة الإصلاحية الحديثة.

2-الإقرار بسلفية المدرسة الإصلاحية الحديثة وهذا ما أكده الدكتور محمد عمارة أيضا حينما قال:" ونحن إذا شئنا أن نصنف الأستاذ الإمام هذا بين مواقف المفكرين نستطيع أن نقول: إن الرجل كان صاحب "سلفية عقلية" تميز بها عن مواقف السلفيين الذين اكتفوا بالموقف السلفي "النصوصي" وعن العقلانيين الذين انطلقوا من منطلق العقل فقط لا غير"1.

3-ذكر أعلام هذه المدرسة وحصر زعمائها ومؤسسيها في الإمام محمد عبده على عكس ما ذهب إليه بعضهم في انتسابها إلى الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ أحمد خان الهندي.

4-إعطاؤها العقل مساحة كبيرة بحيث يصبح دليله مقدما، وأنه أصل للنقل ويرد الأحاديث التي لا توافقه، ويفضل إيماءات النص القرآني على صريح أحاديث الآحاد.

5-إنكار النسخ في القرآن.

6-عدم الدخول في خصومات جانبية مع الفرق والمذاهب.

2:- التفسير معالم حياته، و منهجه اليوم أمين الخولي مكتبة الأسرة ،ط1 2003ص 19-20

3 . اللآلئ الحسان في علوم القرآن ، د.موسي شاهين لاشين ص 377

4 . لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي بيروت لبنان ط3 1990 ص 293

5 . اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري رسالة مقدمة لنل درجة الدكتوراه فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العام الجامعي 1405 هـ/1406 هـ ج2 ص 806

6 . نحو منهج لتفسير القرآن محمد صادق عرجون الدار السعودية للنشر والتوزيع ط3 1979 ص 19

7 . لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، د. محمد بن لطفي الصباغ ص 294

8 . ينظر هذا الدين، سيد قطب لتوضيح المسألة أكثر

9 . الإنسان بين المادية والإسلام ،محمد قطب دار الشروق القاهرة ط12 2006ص 47

10 . سورة النحل الآية68

11 . كيف نتعامل مع القرآن العظيم ،د. يوسف القرضاوي ،دار الشروق القاهرة ط3 2000 ص386

12 . سورة الشورى الآية 29

13 . ينظر المرجع نفسه ص 329

14 . سورة الذاريات الآية21

15 . سورة الذاريات الآية 56

16 . سورة الحجر الآية29

17 . الإنسان ذلك المجهول، د ألكسيس كاريل ،ترجمة شفيق أسعد فريد مكتبة المعارف لبنان بيروت ط1 2003 ص 50

18 . المرجع نفسه ص 73

19 . نفسه ص 78

20 . الإسلام ومشكلات الحضارة ،سيد قطب دار الشروق القاهرة ب ت ص46

21 . سورة المؤمنون الآية 14

22 . لا يأتون بمثله!، محمد قطب دار الشروق القاهرة ط 3 2007ص94

23 . سورة النحل الآية 15

24 . سورة الرعد الآية 03

25 . ينظر المرجع نفسه ص198

26 . سورة الفيل الآية 03-04

27 - الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده تحقيق د. عمارة ج5 ص 505

28 - التفسير والمفسرون د. الذهبي ، محمد حسين .، مكتبة وهبة القاهرة ط4- 2003.ج2 ص 402-403

29 . سورة الفيل الآية 01

30 . سورة الفيل الآية 01

31 . سورة الفيل الآية 02

32 . ينظر الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده تحقيق د. عمارة ج5 ص 503

33 . ينظر المرجع نفسه ج5 ص 503

34 . المرجع نفسه ج5 ص 503

35 . نفسه ج5 ص 505

36 . ينظر تفسير الطبري ج30 ص 361

37 . البيان لتفسير آي القرآن ابن تيمية ج8 ص 420

38 . ينظر تفسير القرطبي ج20 ص 141 وتفسير الطبري ج30 ص 361 وتفسير الرازي ج32 ص 92

39 . المرجع السابق ج30 ص 368

40 . سورة هود الآية 82-83

41 . سورة الحجر الآية 73

42 . سورة الذاريات الآية 32-33

43 . الجامع لأحكام القرآن ج20 ص 140

44 . ينظر تفسير الفخر الرازي ج32 ص 92

45 . البيان لتفسير آي القرآن ج8 ص 420

46 . في ظلال القرآن ج6 ص 3978

47 . نحو منهج لتفسير القرآن ص 33

48 . ينظر كل من 1- تفسير الطبري ج30 ص 368 ، 2- تفسير القرطبي ج20 ص 141، 3- تفسير الفخر الرازي ج32 ص 92

49 . في ظلال القرآن ج6 ص 3977

50 . الأعمال الكاملة ج5 ص 504

51 . نحو منهج لتفسير القرآن،د محمد الصادق عرجون ص 36

52 . الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده، د. محمد عمارة ج1 ص 252

53 . ينظر تفسير المنار ج9 ص 566

54 . المرجع نفسه ج1 ص 16

55 . تفسير المراغي شركة مكتبة البابي الحلبي وأولاده بمصر ط1 1946 ج30 ص 243

56 . منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد بن سليمان الرومي، ج2 ص 722

57 . على مائدة الفكر الإسلامي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، دار العودة بيروت لبنان ط1 1982 ص 163

58 . المرجع نفسه ص 163

59 . ينظر المرجع نفسه ص 160

60 . ينظر هذا الدين، سيد قطب لتوضيح المسألة أكثر